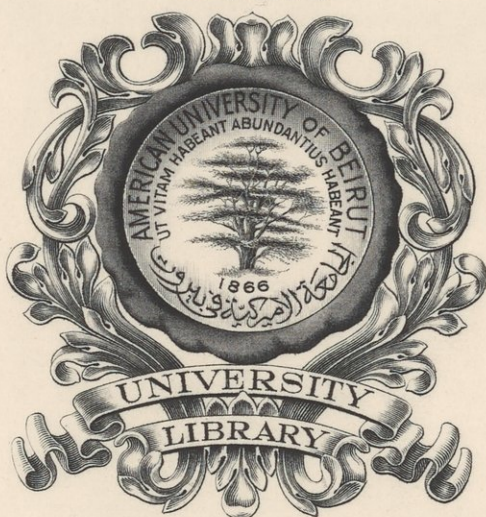


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





محمد العبداني

892.71

A 237a A

v.3

الدرر
(طهون)

ملحمة شعرية

مقوى الطبع محفوظة الشاعر

المكتبة القصرية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

المطبعة العصرية

صيدا

الاهل

الى التي وقفت جهودها الجبارة ، وقلبها الكبير لرعاية
اولادها ، وزوجها الذي يحمل بين جنبه قلب طفل ،
رعاية فذة في دنيا المادة هذه .

الى التي كانت أمومتها الرائعة الدافع الأول لنظم هذه
الملحمة الاجتماعية ، الى شطري الافضل وزوجي الوفية

ربيحت

أهدي ملحمة الامومة .

المقدمة

ولو خيروني بين أمّ وحنّة

تفيضُ بسحرِ الخورِ لاخترتُ لي أمّا

المرأة هي المصدر الأول لوعي رجال الفن ، وتبلغ أوجَ
إيحائها عندما تُصبح أمّا . ونظرةُ حنان واحدة ترنوبها أمّاً إلى
فلذة كبدها ، هي اشدّ أثراً من كل ما في الطبيعة من مفاتن ، وما
في الدنيا من جمال .

وقد حفزني تقديس الأمومة الى نظم هذه الملحمة التي جعلتها
في شكل موشح ، حتى لايميل القاريء من تكرار حرف رويّ
واحد . وحاولت جهدي الاتيان بالالفاظ المألوفة ، وقد شرحت
في النهاية ألفاظاً قد يغلق فهم معانيها على بعض القراء .

أما المقدمة ففي ديواني «اللهيب» ، الجزء الاول من (العدنانيات)

الاسباب التي تحملني على تقديم مؤلفاتي بنفسى ، فمن شاء معرفتها
فليرجع الى « اللهيب » .

وزعمت بعض الصحف والمجلات أن هذه هي الملحمة الاجتماعية
الأولى من نوعها في الادب العربي ، وزعم آخرون أنها ، من حيث
طولها ووحدة موضوعها ، الأولى من نوعها في الادب العالمي .
فاذا صح ما قيل ، فاني ليشرفني أن اكون محادم الفصحى الاول
في باب الملاحم الاجتماعية الشّعيرية ، واذا سبقني أخ شاعر في هذا
المضمار ، فيسرنى أن أتشبه به ، والتشبه بالكرام فلاح .

أما نصيب الملحمة من نصاعة الديباجة ، ورقة العبارة وسلاستها
والمعاني المبتكرة ، والصّور والأخيلة الجديدة ، فهذا أكل أمره
الى المنصفين من القراء ، والى تاريخ الادب الذي يضع كل شاعر
في مكانه الذي يستحقه دون مجاملة ، ولا محاباة ، سواء في ذلك
عنده الذين يحسنون التطويل والتزوير لأنفسهم في عالم الدعاية هذا
والذين لا يحسنون .

ولا بد لي في الختام من شكر الاخ الناشر الكريم السيد
شريف الانصاري على اخراجه هذه الملحمة بجلتها القشبية ، كما

أخرج ديواني « اللهيب » . كما أشكر الاستاذ رضوان الشهاب
على رسومة الرائعة .

والى اللقاء في ديوان « الوجيب » .

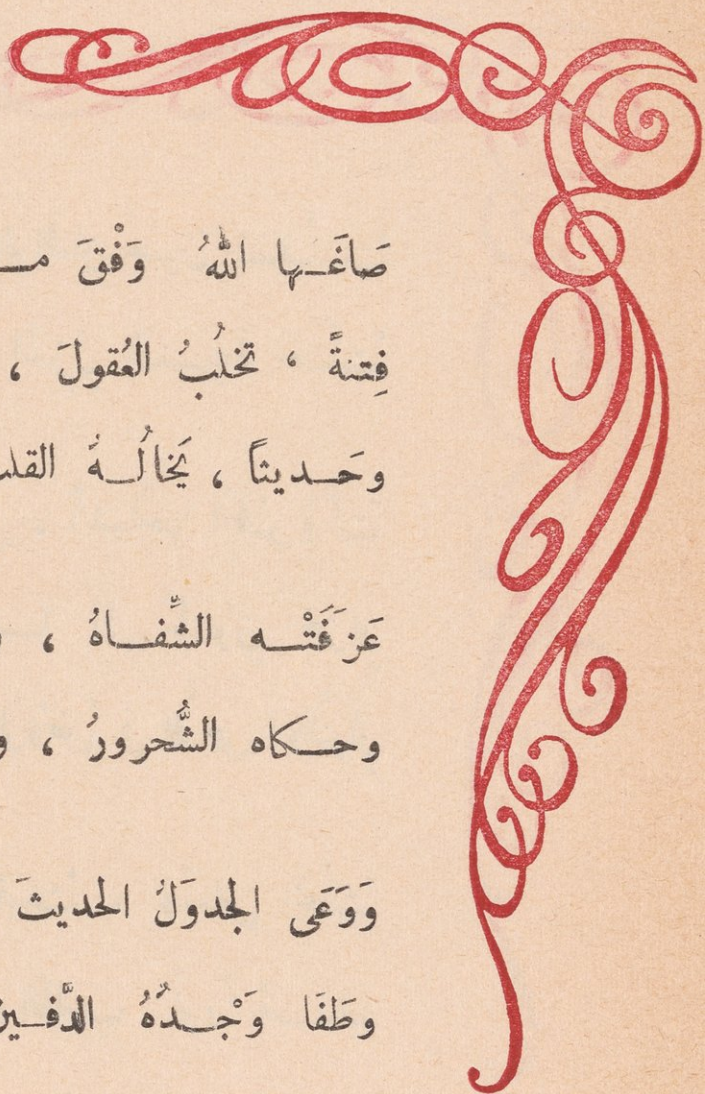
محمد العدناني

حلب : كانون الثاني سنة ١٩٥٧

شَهِدَ الْوَالِدَانِ حِينَ اسْتَهَلَّتْ
أَنَّ فِي الْمَنْزِلِ الْهَنَاءَ حَلَّتْ

وَالدَّوَاهِي ، أَشْبَاحُهَا الْحُمْرُ وَلَّتْ
وَأَصَاخَا إِلَى الْحَوْثِ هَزَارِ
أَطْرَبَ الرَّوْضَ فِي الدُّجَى ، وَالنَّهَارِ

وَالْمَنَى أَقْبَلَتْ ، وَسَلْمَى تَجَلَّتْ
فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ نُورًا مُذَابَا



صَاغَهَا اللهُ وَفَقَ مَا تَتَمَنَّى
 فِتْنَةً ، تَخْلُبُ الْعُقُولَ ، وَحُسْنًا
 وَحَدِيثًا ، يَخَالُهُ الْقَلْبُ لِحْنًا
 عَزَفَتْهُ الشُّفَاهُ ، وَالْأَوْتَارُ
 وَحَكَاهُ الشُّرُورُ ، وَالْقِيْشَارُ
 وَوَعَى الْجَدُولُ الْحَدِيثَ ، فَغَنَّى
 وَطَفَا وَجَدُّهُ الدِّفِينِ حَبَابَا



وهبتها الشُّعاعَ شمسُ الأصيلِ
ذهبيًّا ، فجاءَ دُونَ مَثِيلِ
فتحلَّتْ سلمي بشعرِ جميلِ

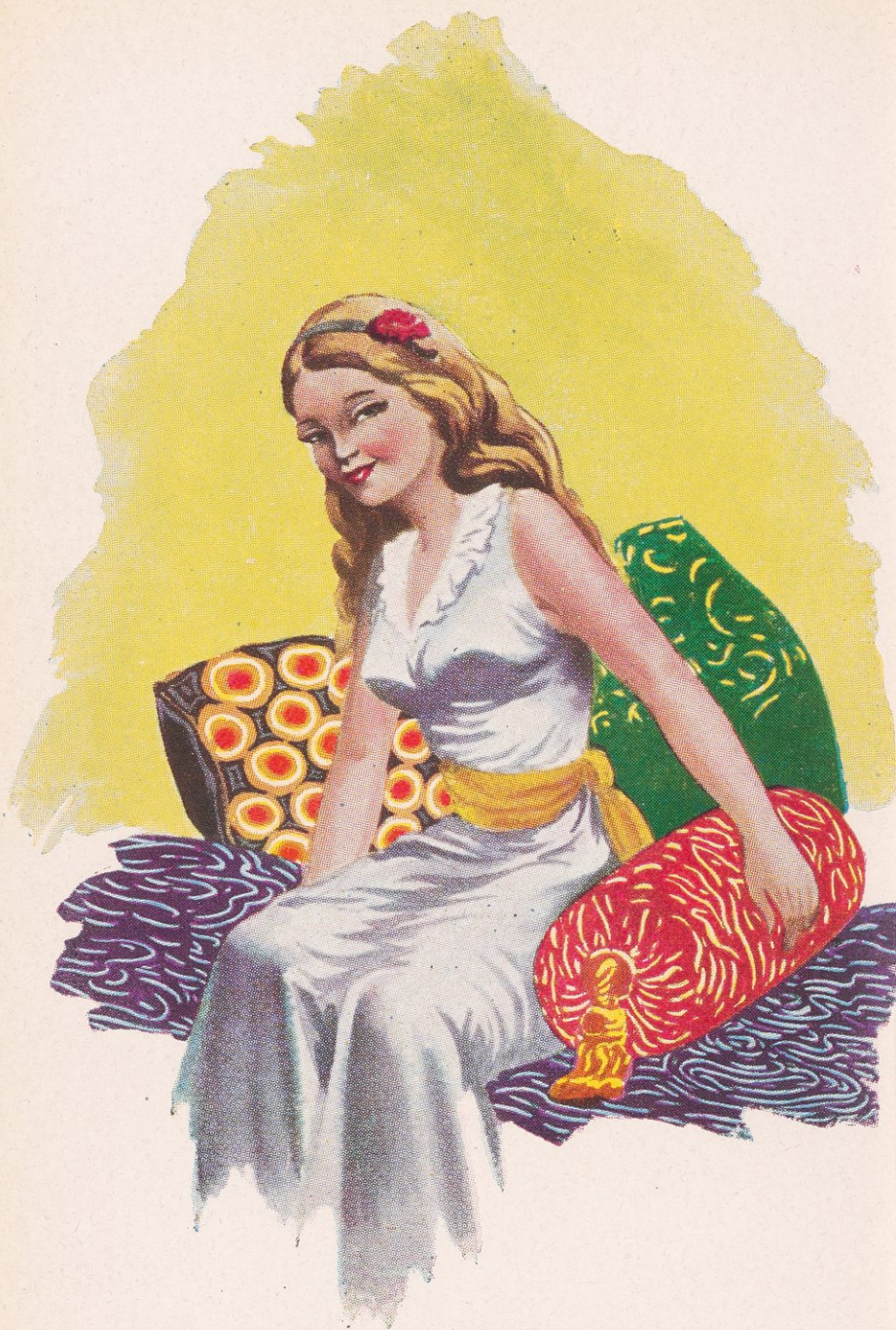
قد تدلِّي ، فكانَ شُغلَ العيونِ
كلَّها ماجَ ، أوَمَضَتْ في جُنُونِ

وتشكَّتْ إلى النَّسيمِ العليلِ
أمرَها ، فالتظيُّ هيامًا ، ولا با

سَرَقَ الْخَطْوَ ، مَرَّةً ، فِي الرِّيَاضِ
إِذْ رَأَاهَا كَالشَّمْسِ فِي الْإِيْمَاضِ
فَتَرَوَى مِنْ حُسْبِهَا الْفِيَّاضِ

وَأَجَالَ الْبَنَانَ بَيْنَ الْغَدَائِرِ
عَابِتًا ، وَهُوَ تَائِرُ النَّبْضِ ، حَائِرُ

ثُمَّ أَفْضَى مُوَشَّوْشًا ، وَهُوَ مَاضٍ
بِهَوَاهِ الَّذِي أَطَارَ الصَّوَابَا



وأثاها الضُّحَى ، فأُهدَى الجبينا
مُشرقاً ، يكسِفُ اليقينَ مُبيناً
ما تبدَّى ، إلَّا اِشْرَأَّتْ حَنِيناً

مِنْ مَجْمُوعِ الْبَرِيَّةِ الْأَجْيَادُ
فِي ذُحُولٍ ، تَشُدُّهُمْ أَصْفَادُ

مِنْ هَيَامٍ ، قَدْ لَقَّوهُ سَنِيناً
فَوَعَتْهُ ، كَمَا وَعَيْنَا الْكِتَابَا

وَحَبَا الْحَاجِبِينَ قَوْسُ النِّعَامِ
وَنِبَالِ الْأَهْدَابِ رَبُّ الْغَرَامِ
فَغَزَتْ تَبْلُهَا قُلُوبَ الْأَنَامِ

فَأَكَبَّتْ عَلَى حَوَاشِي هَوَاهَا
سَاجِدَاتُهَا ، كَأَنَّ إِلَهَا

قَدْ أَتَى فِي إِيَّاهُ أَنْتَى ، تُسَامِي
بِالْجَمَالِ الْخَلْدِ الْأَرْبَابَا



ثُمَّ أَعْطَتْ بِنْتَ الْعَبِيرِ السَّمَاءَ
لَوْنَ عَيْنَيْنِ ، فِيهِمَا مَا تَشَاءُ
مِنْ فُتُونٍ ، يَغْنُو لَهُ الْإِيحَاءُ

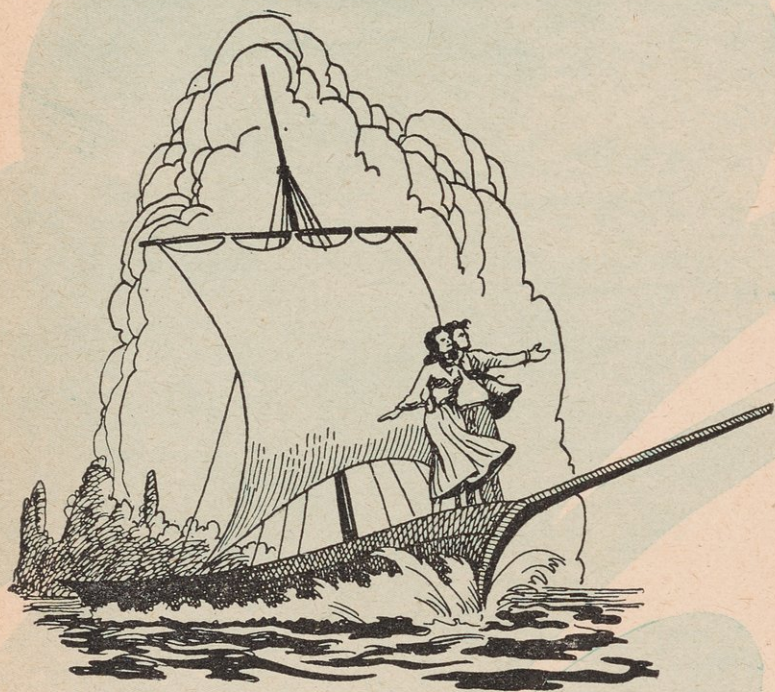
وَوَمِيضٍ ، وَرَقَّةٍ ، وَمَعَانِي
مَا رَأَتْ مِثْلَهَا عُيُونُ الزَّمَانِ

وَذَكَاءٍ ، يُشِيعُ مِنْهُ ضِيَاءُ
كَسَنَى الْحَقُّ ، يُذْهِلُ الْأَلْبَابَا

واصطفاه من مُقاة الفجرِ طُلُّ
كاللآتي ، ثني الجفونِ يَحُلُّ
مالها غيره حُسامٌ يُسَلُّ

ما أذالته ، مرّةً ، فوقَ خدِّ
ورأى في مسيله غيرَ وردِ

راح من كِمْهِ الجميلِ يُطِلُّ
بعد أن غازلَ الندى الأهدابا



واستوى فوقَ وجهها العرينُ
وعليه من الإباء فنونُ
فاذا قال : كنْ شيءً ، يكونُ

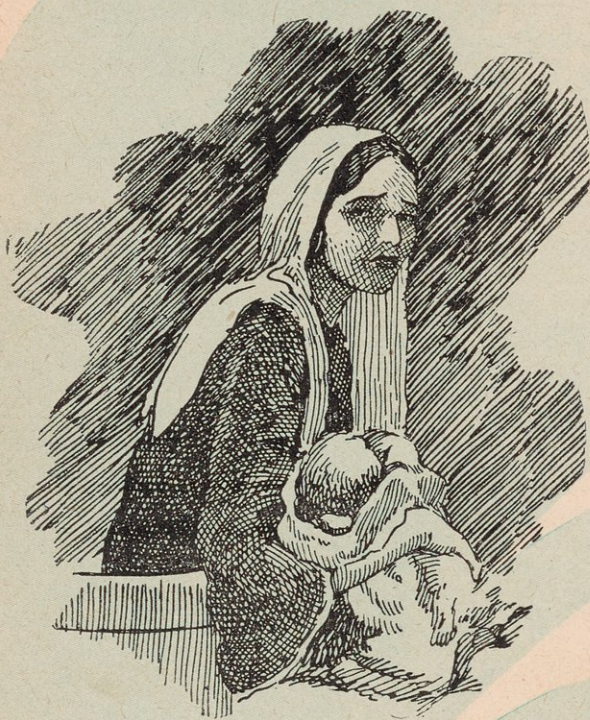
لازمَ الخودَ للهوى ديدُنا
يحرُسُ الياسمينَ ، والرُّمانا

والأقاحي التي إليها العيونُ
تتبارى ؛ لكي تَمبَّ الرُّضابا

وأتى الخدَّ في الضُّحَى الجَلَنارُ
واهْبِغاً لَوْنَهُ ، فَأَجَتْ نَارُ
فوقَ صَحْنِ الخَدَّيْنِ ، والحُسْنُ دارُ

ليسَ فيها سوى المَلِيكَةِ سَلَمَى
في جُفُونِ القلوبِ تَخْفُقُ حُلَمَا

وسُوَيْدَاؤُهَا بها تِيَّارُ
لم يُشَاهِدْ لَهُ الجَوَى أَضْرَابَا



ودنا الفجرُ حاملاً للعندم
يتهادى ، وشقَّ من سلعى الفم
ثم حياً بقبلة ، ثم تتم

وتوارى كالطيف بين الحائل
شارحاً لا عجب الهوى للجداول

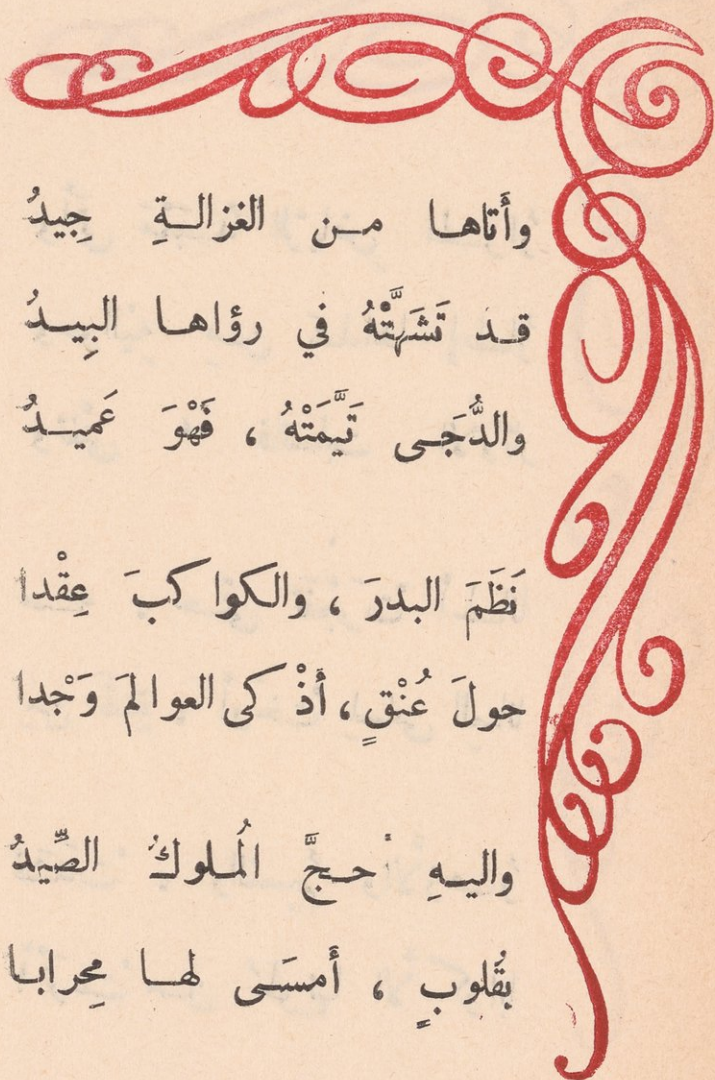
بلحون ، كعندايب ترانم
وامتطى صهوة الرياح ركابا

ثُمَّ وَافَى أُخْتَ الْمَهَا سَجْبَانُ
 وَاصْطَفَاهَا مِنْ الْخَطِيبِ اللِّسَانُ
 فَقَدَا مِنْ عَمِيدِ سَلَمَى الْبَيَانُ
 وَإِلَيْهَا حَقَّتْ وَفُودُ الْمَنَابِرُ
 عَاقِدَاتٍ عَلَى هَوَاهَا الْخَنَاصِرُ
 مَا ارْتَقَتْ مِنْبَرًا ، وَظَلَّ جَنَانُ
 لَمْ يُصَفَّقْ فِي كَهْفِهِ إِعْجَابًا



وَأَتَى مَعْبَدُ الرِّيَاضِ الْهَزَارُ
وَحَوَالِيهِ مِنْ شَذَاها إِطَارُ
وَتَغْنَى ، فَانْسَابَتِ الْأَوْتَارُ

مِنْهُ ، حَتَّى تَفَجَّرَتْ أُلْحَانَا
مِنْ لَهَاقَةٍ ، أُرَخْتُ لِسْمِي الْعِنَانَا
فَشَدَّتْ ، وَالنَّسِيمُ وَالْأَزْهَارُ
أُتْرَعَتْ مِنْ لُحُونِهَا الْأَكْوَابَا



وَأَتَاهَا مِنْ الْغَزَالَةِ جِيدُ
قَدْ تَشَهَّتْ فِي رُؤَاهَا الْبَيْدُ
وَالدُّجَى تَيْمَتُهُ ، فَهُوَ عَمِيدُ

نَظَمَ الْبَدْرَ ، وَالْكَوَاكِبَ عِقْدًا
حَوْلَ عُنُقٍ ، أَذْكَى الْعَوَالِمَ وَجَدًا

وَالِيهِ أَحَجَّ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ
بِقُلُوبٍ ، أَمْسَى لَهَا مِحْرَابًا





واجتبي الزَّبَقُ الطَّرِيُّ الذَّرَاعَا
فَسَرَى الطَّيْبُ فِي النَفُوسِ ، وَضَاعَا
وَقُلُوبُ الْأَنَامِ ، بَاتَتْ مَشَاعَا

فِي يَدَيْهَا وَتَقَلَّتْهَا الْأَنَامِلُ
كَيْفَ شَاءَتْ ، فَافْعَتْ بَغْلَائِلُ

مِنْ غَرَامٍ ، شَرَى الْبَرَايَا وَبَاعَا
وَعَدَتْ سُوقَهُ تَعِيجُ اصْطِغَابَا

وَعَلَا عَرْشَ صَدْرِهَا الرُّمَّانُ
 مُشْرِبًا ، وَلِلْهَوَى مِهْرَجَانُ
 كُلَّمَا اهْتَزَّ ، طَاشَتْ الْأَذْهَانُ
 وَأَصَابَ الْوَرَى جَمِيعًا ذُهُولُ
 وَحَيْنُ الْأَرْوَاحِ ، بَاتَ يَسِيلُ
 لُوعَةً ، وَالْكَهُولُ وَالشُّبَّانُ
 يَمِيتُهُمْ بِصَدْرِهَا خَلَابًا



أَيُّ سِحْرِ ، مَا بَيْنَ نَهْدٍ وَنَهْدٍ
كَامِنٍ ، يُشْرِبُ النَّهْيَ مِنْ وَرْدٍ
فَاضَ مِنْهُ الْإِلْهَامُ ، وَالْحُسْنَ يَهْدِي

مَنْ بِهِ آمَنُوا سَبِيلَ الْبَقَاءِ
فِي جَنَّاتٍ ، تَضَمَّتْ بِالْهَنَاءِ

وُخْلُوْدٍ عَلَى أَرَائِكِ سَعْدٍ
هَدَّهَتْهَا أَيْدِي الْمَنَى أَحْقَابَا

ليسَ في وَسْعِ ألسِنِ الشعراءِ
وصفٌ ما في التَّهْدِينِ من كَهْرَباءِ
فلما مَارِجَانِ مَن إِغْرَاءِ
وَفُتُونِ يَكْوِي فَوَادَ العَمِيدِ
وهما ، في الجَمَالِ ، يَتُ القَصِيدِ
ما رَأَى رِعْشَةَ الأَيَّيْنِ راءِ
قَطُّ إِلَّا من الصَّبَابَةِ ذابا



ليس في طوقِ مَقُولٍ ، وطُروسِ
 شَرَحَ ما في التَّهْدِينِ من مَغْطِيسِ
 زَوْدًا كُلَّ خَافِقٍ بِدُروسِ

لَخَّصَتْ كُلَّ أَضْرَبِ الْجَازِيَّةِ
 وَأَذَاعَتْ أَسْرَارَهَا النَّهْدِيَّةُ

فَاسْتَقَادَتْ لَهَا جَمِيعُ الْفُؤُوسِ
 وَتَدَاعَتْ إِلَى حِمَاها انْجِذَابًا

ليس في الكونِ مثلُ وحي النُّهودِ
فَهِيَ لِلْمُتَمِينِ سِرُّ الخلودِ
قد فدوها بطارفٍ ، وتلبدِ

وشبابٍ ، هوى العيونِ ، وشعرِ
وهزارٍ ، غنى لِمَاءٍ وزهرِ

فوقَ غُصْنٍ ، غُضُّ الصَّبَا ، أُمْلودِ
عانقته أيدي الرِّيحِ طرابا



وَحَبَّاهَا الْقَوَامَ غُصْنُ الْبَانِ
فَتَشْتَتُ فِي الرِّوَضِ كَالْخَيْرَانِ
أَيْنَ مِنْهَا قَامَتُ حُورِ الْجَنَانِ؟

غَارَ مَنْ كَدَنَ قَدَّهَا السَّمْهَرِي
عِنْدَمَا حَطَّ فَوْقَهَا قُمْرِي

مُنْشِدًا، فِي الصَّبَاحِ، أَشْجَى الْأَغَانِي
إِذْ رَأَى الْغُصْنَ يَحْمِلُ الْعُنَابَ

لم تكنْ غَيْرَ بِنْتِ سَبْعٍ وَعَشْرٍ
يَوْمَ سَارَ اسْمُهَا عَلَى كُلِّ نَقَرٍ
وَعَدَا شُغْلَ كُلِّ كُوخٍ وَقَصْرِ

وَحَدِيثِ الشُّيُوخِ ، وَالشُّبَّانِ
وَحِرَاءِ الْقَصِيدِ ، وَالْأَحْمَانِ

ظَلَمُوهَا ، إِذْ شَبَّهُوهَا بِدَرٍ
يُخْسَفُ الْبَدْرُ حِينَ تَنْضُو النِّقَابَا



ليسَ للبدرِ ثغرُها البسَّامُ
ومُحَيَّا ، في مُقلتيهِ كلامُ
وحدِيثٌ ، تهفو له الأتغامُ

وشذا روضها ، وخِفَّةُ رُوحِ
وفُتُونٍ ، روائعِ الشَّعرِ يُوحِي

ولِحَاطٌ ، تغار منها المدامُ
حينَ ثُوري نَمَى الوري إلهابا

حَوَّمتْ كالفرّاشِ كُلُّ القُلُوبِ
 حَوْلَ بُرْكانِ حُسْنِها المَشْبُوبِ
 فاكتوتْ بالجوى، وجَمَرِ الخطوبِ

يَوْمَ راحَتِ أحلامُها تتوارى
 في سَرابِ الأَسى ، فُتِلَفِي النِّهارِ

دامساً ، مِثْلَ غَيْبِ المَكْرُوبِ
 أو خَصِيبِ الآمالِ ، أُمِسَتْ يَبابا



لم يَفْزَ بالفؤادِ غيرُ طَريفِ
حُلْمِ الحُسْنِ ، والمِزاجِ اللطيفِ
فَتَنَ الخُودَ بالقَوامِ الرَّهيفِ

أَرِيجِ الصِّبَا ؛ وَوَهجِ الذِّكَا
ارْتِجَالِ الأَمْجَادِ ، في الهَيْجَاءِ

وَبْظَلٍ ، مِثْلِ النَّسِيمِ خَفِيفِ
سَمَاحٍ ، فِيهِ يُبَارِي السَّحَابَا

سَلَّمْتُهُ مِنْ قَلْبِهَا السُّكَّانَا
فَحَبَّاهُ بِحَرْمِ الْهَيْامِ الْأَمَانَا
فَانْتَحَى بِالْحَبِيبَةِ الشُّطَّانَا

بَشْرَاعٍ ، مَا كَانَ إِلَّا شَغَافَا
رَكِبَ الْمَوْجَ ، مِثْلَهُ ، وَجَّافَا

لَمْ يَشَاهِدْ يَمُّ الْهَوَى رُبَّانَا
كَطَرِيفٍ ، وَلَا كَسَلَمَى كَغَابَا



مُزِجَ الحُسْنَ بِالْحَجَى اللِّسَّاحِ
مِثْلَ مَاءٍ ، مَزَجَتْهُ بِالرَّاحِ
فَأَقِمْتُ مَعَالِمَ الْأَفْرَاحِ

طَيَّ قَلْبَيْنِ ، فِي جِنَانِ الْأُمِّ-أَتِي
رَتَعًا ، حِينَ نَامَ طَرْفُ الزَّمانِ

عَنْهَا ، وَارْتَقَى الهَوَى بِجَنَاحِ
خَلْفَ السُّحْبِ تَحْتَهُ وَالْهَضَابِ

أَيُّنَعِ الْحُبُّ فِي رِيَاضِ الْغَرَامِ
 فَزَهَا الْقَصْرُ بِالْوَلِيدِ عَصَامِ
 حُلْمِ الْحُسْنِ ، وَالْعَلَا ، وَالسَّلَامِ
 مَلَأَ الْبَيْتَ ، وَالْقُلُوبَ صُدَاحَا
 وَأُيِّحَ النَّفُوسَ ، وَالْأَرْوَاحَا
 فَقَدَا رَقَصَهَا عَلَى الْأَتْقَامِ
 لِنُضْرُوبٍ مِنَ الْهَوَى مُنْجَابَا



لَخَصَّ السَّعْدَ فِي ابْتِسَامَةِ طِفْلٍ
تَوَجَّهَ الْمَنَى بِإِكْلِيلِ دَلٍّ
رَاحَ ، مَا شَاءَ ، بِإِلْإِشَارَةِ يَمِينِي

فِيلَبِّي الرِّغَائِبَ الْأَبْوَانَ
لِلوَحِيدِ الْحَبِيبِ ، دُونَ تَوَانِي

هَلْ هُمَا فِي دُنْيَا الْوَرَى غَيْرِ ظِلٍّ
لِعَصَامٍ ، يُلَازِمَانِ الْبَابَا ؟

دَثْرَاهُ تَدَلُّهَا بالشَّغافِ
وَأَحْلَاهُ حَبَّةَ الرَّجَافِ
وَأَقْلَاهُ عَصَامَ نُحُو الضُّفَافِ

حِينَ شَقَّا نَهْرَ الْحَيَاةِ الْعَيِّ
بِجَهَادٍ فَذِي ، وَأَنْفٍ حَمِيٍّ

ثُمَّ أَلْوَى الزَّمَانُ بِالْمَجْذَافِ
وَطَوَى الْمَوْتَ مِنْ طَرِيفِ الشَّبَابِ



لفَّ سلمي الأسي بثوبٍ صفيقٍ
وبكاها الصبا بُكاءَ الشقيقِ
بفؤادٍ ، في النائباتِ غريقِ

باتتِ الأمُّ وحدها في كفاحٍ
معَ دهرٍ مُدَجَّجٍ بالسَّلاحِ

وعصامُ اليتيمِ جدُّ خَلِيقِ
بأبٍ ، يَصْرَعُ الزَّمانَ غلابا

حُمِّلَتْ عبءَ والدٍ ، بَعْدَ أُمٍّ
وَحَدَّهَا ، وَاغْتَذَتْ بِهِمْ وَغَمٍّ
وَتَحَلَّتْ بِالْعِزِّ فِي عُرْضِ يَمٍّ

مِنْ عَذَابٍ ، وَشَقْوَةٍ ، وَجِهَادٍ
وَاحْتِضَارِ الْهَنَاءِ فِي الْأَصْفَادِ

وَصُومِدِ الصَّبْرِ الْعَنِيدِ لظُلْمِ
بَنَةِ الدَّهْرِ فِي الْوَرَى إِرْهَابَا



زَادَ ثَوْبُ الْحِدَادِ سَلَمَى جَمَالَا
وَكَسَاهَا الْحُزْنُ الدَّفِينُ جَلَالَا
فَأَشَعَّتْ أُخْتُ الصَّبَا آمَالَا

كَالدَّارِيَّ فِي سَمَاءِ قُلُوبِ
لَمْ تُرَدِّدْ سِوَى اسْمِهَا فِي الْوَجِيبِ

وَهِيَ لَمْ تُلَقِ لِلْمَحِبِّينَ بِأَلَا
وَأَشَاحَتْ ، فَرَاعَتْ الْخُطَابَا

فتواروا عن الحمى ، غير آس
ورد الحب مرهف الإحساس
شفة الوجد ، وهو عات قاس

فأتاها بذلة ، وخشوع
وإباء محطّم ، وخضوع

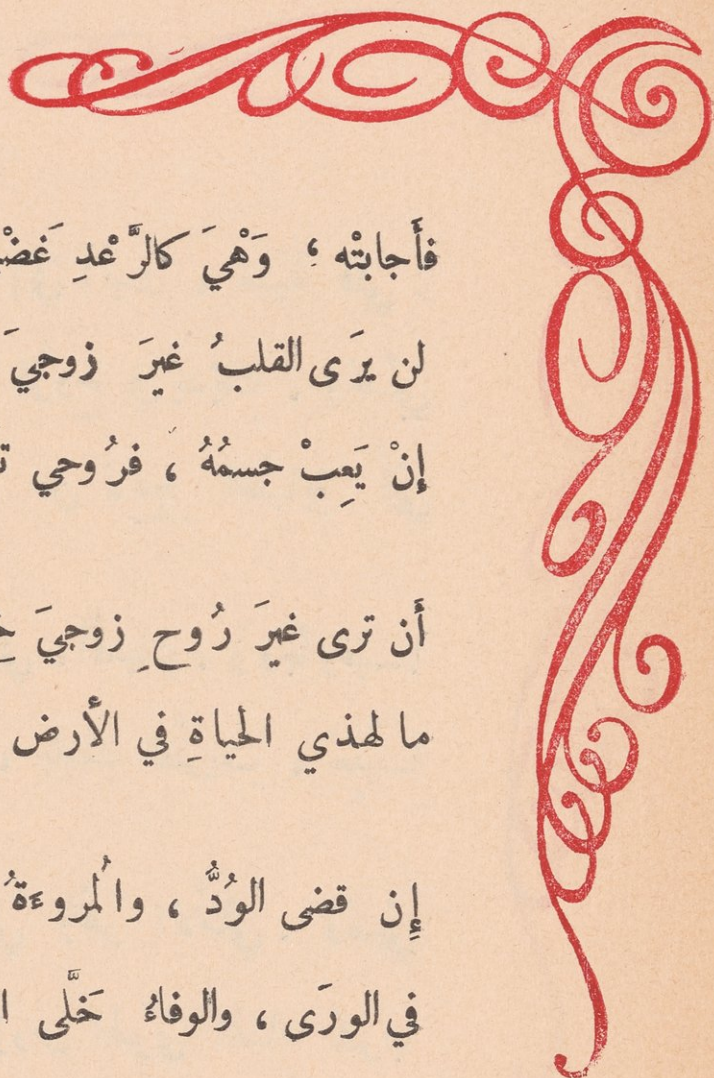
ناسياً أنه أجل نطاسي
بلغته المباحض الآرأبا



قال: إِنِّي أَتَيْتُ ، مُنِيَّةً قَلْبِي !
أَضَعُ الرُّوحَ فِي يَدَيْكَ ، وَحُبِّي
طَاشَ مِنْ لَاعِجِ الصَّبَابَةِ لُبِّي

فَاقْبَلْنِي ، أَفْدِيكَ ، زَوْجًا وَفِيًّا
وَأَبَا ، بَابُنكَ الظَّرِيفِ ، حَفِيًّا

ثُمَّ لِي زُهْرَ الْأَمَانِي ، وَصَبِي
فِي كُؤُوسِ الْهُوَى الْهَنَاءِ شَرَابَا



فَأَجَابَتْهُ ، وَهِيَ كَالرَّغْدِ غَضْبَى :

لَنْ يَرَى الْقَلْبُ غَيْرَ زَوْجِي رَبَا

إِنْ يَعْجَبُ جِسْمُهُ ، فَرُوحِي تَأْبَى

أَنْ تَرَى غَيْرَ رُوحِ زَوْجِي خَدْنَا

مَا لَهْذِي الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ مَعْنَى

إِنْ قَضَى الْوُدُّ ، وَالْمُرُوءَةُ نَحْبَا

فِي الْوَرَى ، وَالْوَفَاءُ حَلَّى الرَّحَابَا



ليس في القلب غير طيف طريف
في ربيعي أضونه ، وخريفي
وفاء الفؤاد غير كيف

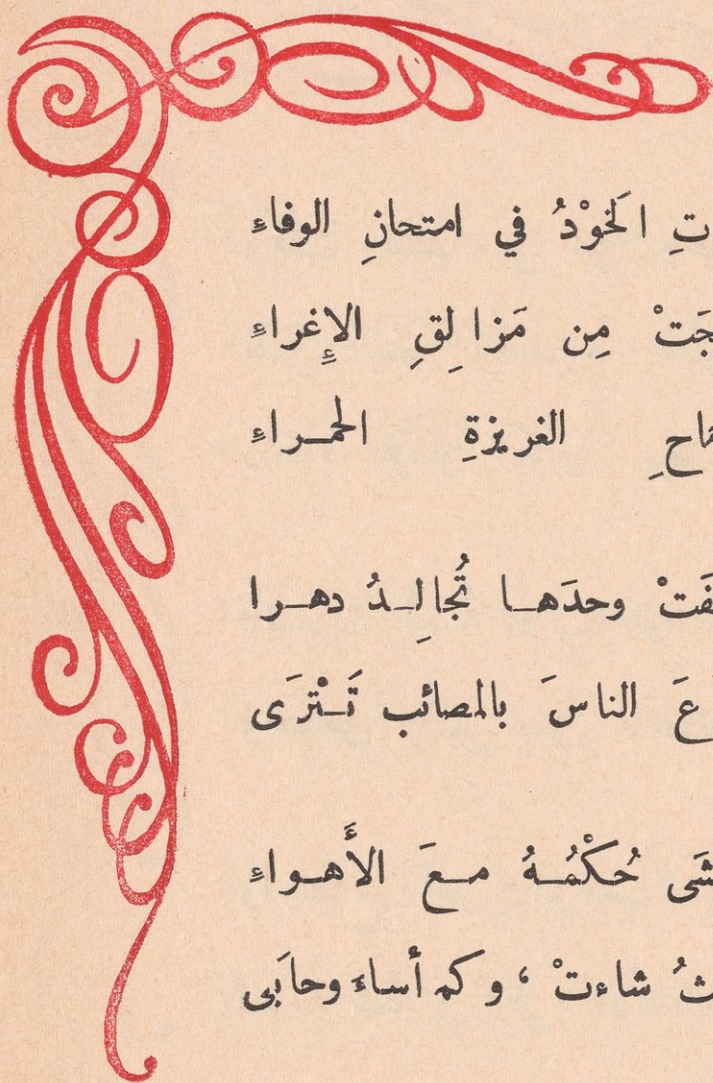
يُبصرُ المكرمات ، والإخلاصا
في قرين ، قد حطّم الأقصا

رُوحه ، وانتحى جنان اللطيف
يَجْتَنِي السَّعد ، والهناء ثوابا

عَادَ قَلْبُ الْآسِي بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ
وَهَمَى الدَّمْعُ مِنْ جَنَانٍ ، وَعَيْنِ
آبَ مِنْ صَفْقَةِ الْهَيَامِ بِدَيْنٍ ،

أَمَلٍ غَارِبٍ ، وَلُبٍّ سَلِيلٍ
سُهَادٍ مُبَرَّحٍ ؛ وَنَحِيْبٍ

وَبَلَايَا ، خَطَّتْ عَلَى الْوَجْتَيْنِ
شَا حَبَ الْيَأْسِ ، وَالضَّنَى ، وَالْعَذَابَا



فازت الخوذ في امتحانِ الوفاء
ونجت من مزالقِ الإغراء
وجاح الغريزة الحمراء

وقفت وحدها بُجَالِدُ دهرها
روّع الناسَ بالمصائبِ تنترى

ومشى حُكْمُهُ مع الأهواءِ
حيثُ شاءتْ ، وكم أساء وحايى

وَقَفَتْ نَفْسَهَا عَلَى ابْنٍ وَحِيدٍ
 لَقَّاهُ الْيَتِيمُ بِالْهُمُومِ السُّودِ
 وَسَقَاهُ الزَّمَانُ كَأْسَ الْجُحُودِ
 فَانْبَرَتْ أُمُّهُ لِحَرْبِ الزَّمَانِ
 وَاقْتَنَاصِ الْمُنَى مِنَ الْحَدَثَانِ
 وَاجْتِيَا حِ الْحُزَنِ الرَّهِيْبِ الْعَنِيدِ
 بَعْدَمَا شَدَّ فِي الْجَمَى الْأَطْنَابَا

زَحَزَحَتْ عَنْهُ يَأْسَهُ ، وَشَقَاءَهُ
وَأَعَادَتْ إِلَى الْحَيَا الْوَضَاءَهُ
فَقَضَى الْبُؤْسُ تَارِكًا أَنْشَاءَهُ

فَوْقَ صَدْرِ الْهَيْجَاءِ ، تَرْضَعُ نَهْدًا
أُتْرَعَتْهُ الْهَزِيمَةُ الْبِكْرُ حَقْدًا

وَأُظْلِمَتْ وَحِيدَةً سَلَمَى الْهِنَاءَهُ
وَهَجِرُ الْأَلَامِ أَوْدَى اكْتِرَابًا

لَمَّتِ السَّعْدَ عَنُوءَةً وَاقْتَدَارَا
 أُمُّهُ ، حِينَ أَصَمَّتِ الْأَقْدَارَا
 ثُمَّ حَاكَتْ لَهُ النَّعِيمَ شِعَارَا
 وَأَبَاكَتْهُ رُوحَهَا ، وَقُورَا
 وَتَنَاسَتْ فُتُونَهَا ، وَصَبَاها
 وَسَقَتْهُ الْخَنَانَ لَيْلَ نَهَارَا
 وَلَظَى الْعَزْمَ أَضْرَمَتْهَا التَّيْبَارَا

فَرَأَى لِلنَّاسِ فِي عَصَامٍ سِرَاجًا
وَبَدَأَ نُورٌ لَبَّهِ وَهَاجًا
وَسَمَا فَوْقَ رَأْسِهِ الْمَجْدُ تَاجًا
وَعَدَا، إِذْ وَشَى الشَّبَابُ الْإِزَارَا
خَفَقَةَ الْحُلَمِ فِي جُفُونِ الْعَذَارَى
وَطَفَى بِمَجْرٍ جُودِهِ أُمُوجَا
غَمَرَتْهَا دُنْيَا الْوَرَى تَرْحَابَا

شاقه الطُّبُّ ، منذُ كانَ صبيًّا
فَعَدَا فِيهِ ، حينَ شَبَّ ، نبيًّا
ما رأى للنَّاسِ مِثْلَهُ عبقريًّا

مَسَّ بِالْمِشْرِطِ العجيبِ عليًّا
كَادَ يَقْضِي ، إِلَّا أَتَى المستحيلا

والضعيفُ المنهوكُ ، عادَ قويًّا
يَنْشِبُ الظُّفْرَ فِي الرَّدَى ، والتَّابَا

طارَ صَيْتُ الْعَلَامَةِ الْجِرَاحِ
حِينَ أَمْسَى مُنَجِّي الْأَرْوَاحِ
رَفَعَتْهُ الْأَمَالُ كَالْمَصْبَاحِ

فِي دُجَى الْيَأْسِ، يَكْشِفُ الدَّيْجُودَا
فَتَشِعُّ النُّفُوسُ طُرّاً نُورَا

وَيُمِدُّ الْقُلُوبَ بِالْأَفْرَاحِ
بَعْدَ أَنْ يَخْشُدَ الْهَنَاءُ الْبَابَا

لَمْ تُرَدِّدْ ذِكْرَ الْوَحِيدِ الشَّفَاهُ
قَطُّ ، إِلَّا فِي الْأُمِّ رَنَّ صَدَاهُ
مَا لَهَا فِي دُنَى الْأَنَامِ سِوَاهُ

مَا أَذَاعَ اسْمُهُ الْفَخَارَ امْتِنَانَا
لِنَدَاهُ ، إِلَّا غَدَتِ آذَانَا

تَتَلَقَّى مَا تَسْرُدُ الْإِفْوَاهُ
مِنْ ثَنَاءٍ ، يُعَلِي عَلَيْهِ الْقِيَابَا

سَلَخَ الدَّهْرَ حِقْبَةً ، وَهُوَ غَافِلٌ
عَنْ هَزَارَيْنِ ، غَرْدًا لِلخَمَائِلِ
نَعَمَاتٍ ، قَدْ سَاجَلَتْهَا الْمَدَاوِلُ

فِي أَنْشِيدَةٍ مِنْ كَلَامَةِ الْمَاءِ
أَوْقَعْتَهُنَّ فِرْقَةً الْحَصْبَاءِ

ثُمَّ غَارَتْ بِلَابِلٌ ، وَعَنَادِلُ
فَشَدَتْ ، وَالنَّسِيمُ حَاكِي الرَّبَابَا

وَصَحَا بَعْدَهَا الزَّمانُ الفَادرُ
مِنْ سُبَاتٍ عَلَى سَرِيرِ المَجازِرِ
فَرَأَى فِي الرِّياضِ ساقِي البَشائرِ

مُفْعِمًا أَكْوَسَ اُلمنى ، وَالْهَناءِ
لِعِصامٍ ، وَأُمِّهِ الفَرَّاءِ

وَرَأَى فِي يَدِ الأَراكِ مَزاہِرُ
مِنْ لَهاها لَحْنُ الهَناءِ انسابا

قد بدا للزَّمانِ ذاكَ الأمانُ
يَتَعَنَّى ، وظله فَيَنانُ
فوقَ عُشِّ المني ، فَجُنَّ الزَّمانُ

وانبرى يُطْلِقُ المصائبَ تَتَرى
فَجَلَا الأَمْنُ ، والأَسَى الجَهْمُ قَرَا

في ابنِ جُبِّ ، لم يَعْرِفِ التَّخْنازُ
مِثْلَهُ ، أوردَتْهُ سَلَى السَّرابا

أَقْبَلَتْ فِي النَّائِلِ الْحُمْرِ حُمًى
تَنْفُتُ الرُّغْبَ فِي الْجَوَارِحِ سُمًّا
وَتَدْكُ الْأَجْسَادَ لِحْمًا ، وَعَظْمًا

أَخَذَتْ مِنْ جَهَنَّمَ الْأَنْفَاسَا
ثُمَّ رَاحَتْ تُمَوِّنُ الْأَرْمَاسَا

وَاسْتَعَاذَتْ مِنْهَا الْمَفْدَاةُ لَمَّا
أَوْهَنْتْ عَزَمَ نَجْلِهَا إِنْصَابَا

راحَ منها على اللَّطَى يَتَقَلَّبُ
والضَّنَى في فؤادِهِ يَتَلَمَّبُ
وعليه جَمَرُ المَنُونِ تَالِبُ

صَوِّحَ العُودُ ، وَهوَ غَضُّ رَطِيبِ
ورَوَى للدهورِ دَمْعَ صَيِّبِ

قِصَّةُ الداءِ ، عَدمًا جاءَ يَنْهَبِ
رُوحَ آسٍ ، شَفَتِ يَداهُ الوِصَابَا

يا لَأُمَّ غَرِيقَةٍ فِي دَمُوعٍ
ذَرَفَتْهَا مِنْ قَلْبِهَا الْمَصْدُوعِ
شَهِدَ الْحُبُّ أَنَّهَا كَالشَّمُوعِ

ذَوَّبَتْ نَفْسَهَا ارْتِياعًا ، وَحُزْنًا
وَأَصَارَتْ جَارَ الْأَضَالِعِ جَفْنًا

تَتَبَارَى دُمَاؤُهُ فِي الْهَمُوعِ
كَلَّمَا الْكَرْبُ أَوْرَدَ النُّشَابَا

شَفَّهَا الرَّعْبُ ، حِينَ أَلْقَى الْأُسَاةَ
فِي صِرَاعِ الْحُمَى السَّلَاحِ ، وَبَاتُوا
نَهَبَ يَأْسٍ ، وَجَفَّتِ الْكَلِمَاتُ

فِي مُحْلُوقِ الْأَلَى غَدَوًا أَعْلَامًا
فِي عِلَاجِ الْأَدْوَاءِ ، تُرْدِي الْأَنَامَا

وَتَبَدَّتْ لَأُمِّهِ صَفَحَاتُ
فِي وَجْهِهِ الْأُسَاةِ ، تَرْوِي الْمُصَابَا

جُنَّ في أُمِّهِ الرُّومَ الفؤادُ
وغزاها ، لَيْلَ الخطوبِ ، الشَّهادِ
أخفق الدَّمعُ ، ونهوَ ثُرَّ جِوادِ

في جلاءِ الأسي ، وغسلِ القنوطِ
جائماً في الجنانِ ، كالأخطبوطِ

إنما الحزنُ للنفوسِ زِنَادُ
يُضرمُ اليأسَ عاتياً ، صَخَاباً

رَكَتْ - أَهْفَتَاهُ - قُرْبَ سِرِيرِهِ
تَتَلَوَى ، وَرَوْحَهَا مِنْ مَصِيرِهِ
فِي أَتُونٍ ، يَكَادُ صَوْتُ صَفِيرِهِ

يُورِثُ النَّدْبَةَ الصَّبُورَ الْجُنُونَا
وَيَصُبُّ الرُّغْبَ الْمَمِيتَ عُيُونَا

وِعِصَامٌ ، مِنْ دَائِهِ ، فِي مَرِيرِهِ
وَعَنِ الْوَعْيِ قَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا

وحكى قُبُ أُمِّهِ فِي الْوَجِيبِ
قَلْبَهُ ، وَهِيَ فِي ذُحُولِ عَجِيبِ
بَاتَ فِي بُضْهِ ، كَقَلْبِ الْحَبِيبِ

يُسْرِعُ الْحَفَقَ مِنْهُ ، دُونَ أَنْ
وَيَجَاكِيهِ ، إِنْ هَفَا بَتَانِ

وَتَلَاقَى الْأَنْفَاسَ وَسَطَ لَهْيِ
مِنْ حَنَانٍ فِي الْأُمِّ ، كَانَ عُجَابَا

أَذْهَلَ الْخَطْبُ كُوبَ سَلْمَى ، فَحَارَا
كَيْفَ يُقْصِي دَاءَ ابْنِهَا الْجَبَّارَا
لَوْ رَأَى خَفَقَةَ السَّنَى ، لَاسْتَجَارَا

طَاشَ مِمَّا دَهَى ، وَأُمُّ عِصَامِ
عَمَدَتْ ، ضَلَّةً ، إِلَى الْأَوْهَامِ

قَمَضَتْ بِالرُّقَى ، ثَقِيلُ الْعِنَارَا
وَالْتَّعَاوِيذِ ، تَتَّقِي مَا نَابَا

أَخَفَقَ الْوَهْمُ ، وَالشَّقَاءُ تَلَبَّدَ
 فِي سَمَاءِ الْأُمِّ الْخُنُونِ ، وَعَرَبَدَ
 وَخِضَمُّ الْأَلَامِ أَرْغَى ، وَأَزْبَدَ
 وَطَوَى مَوْجُهُ الْغَضُوبُ بَقَايَا
 أَمَلٍ ، كَانَ وَامِضًا فِي الْحَنَائِيَا
 فَمَضَى الصَّبْرُ مُبْرِقًا ، ثُمَّ أَرَعَدَ
 وَتَشَطَّى مِنْ يَأْسِهِ آرَابَا

لَا حَ يَوْمًا لَهَا بَصِيصٌ رَجَاءُ
فِي عَجُوزٍ ، عَرِيقَةٍ فِي الذَّكَاءِ
سَلَخَتْ عُومَرَهَا مَعَ الْحِكْمَاءِ

جَاءَتْ الْأُمُّ ، تَبَعَتْ الْأَمَالَ
بَعْدَ مَا أَشْهَرَ الْقَنُوطُ النَّصِيَالَ

فَأَرَتْهَا وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّقَاءِ
قَبَسًا ، يَكْشِفُ الْأَسَى الْمُنْتَابَا

ثمّ قالت : عَلَيْكَ أُمَّ عَصَامِ
بِأَمْلَازِ الْأَخِيرِ ، سَاقِي الْحَمَامِ
مَرَّغِي الْوَجَةَ عِنْدَهُ بِالرَّغَامِ

وَأَذِيلِي مِنَ الْجَفُونِ سُيُولَا
وَانشِجِي ، وَأَمَائِي الْفَضَاءَ عَوِيلَا

وَأَشْرَحِي مَا لَقِيتِ مِنْ آلَامِ
وَأَفِضِي فِي سَرْدِهَا إِسْهَابَا

قالتِ الأُمُّ للعجوزِ : أعيري
ولدي عَيْنَ حَارِسٍ ، وأنيري
دَرْبَ آمَالِهِ بِعُطْفٍ غَزِيرِ

ثمَّ راحتِ تبغي مَلاكَ المَنُونِ
ونهيَ ، بِمَا عَرَا أَبْنَاهَا ، فِي جُنُونِ
فَرَأَتْ فِي الطَّرِيقِ ، قُرْبَ الغَدِيرِ
غَادَةً ، تَرْتَدِي السَّوَادَ إِهَابَا

شَاهَدَتْهَا فَوْقَ الْهَضَابِ تَحُومُ
وَعَلَى حَالِكِ الرِّدَاءِ نَجُومُ
وَاصْطَفَاهَا صَبَاً، كَعُوبٍ يَرُومُ

وُدَّهَا خَالِصاً ، وَلَيْسَ يَعْوجُ
عَنْ حِمَاهَا ، وَإِنْ غَزَتْهُ ثُلُوجُ

يَلْدَغُ الْجِسْمَ سَهْمُهَا الْمَسْمُومُ
وَتَرْجُ الْأَوْصَالَ وَالْأَعْصَابَا

سألتها، والقرُّ يُفري العظاماء،
هل لعز ريل تعرفين مقاماً؟
علَّ رُوحِي به تبُلُّ الأواما

فينال ابني الحبيب الشفاء
ويلفَّ ابنُ جنبي السَّراء

وأراه علي الأضالع ناما
بعد أن وُسِّدَ الأماني الرطابا

فَانْبَرَتْ لِلْكَلامِ أُخْتُ الزُّنُوجِ
وَأَكْفُ الرِّيحِ فَوْقَ الصُّنُوجِ
سَأَلَتْ أُمُّهُ سَوَّالَ الْجُوجِ

أَنْ تَغْنِي بِأَعْذَابِ الْأَنْعَامِ
كُلَّ مَا أَنْشَدَتْهُ قَبْلَ الْفِطَامِ

لِعَصَامٍ ، وَالبَدْرُ فَوْقَ الْمَرْجِ
يَذَرَعُ الْأُفُقَ جِيئَةً ، وَذَهَابًا

ثُمَّ قَالَتْ : أَنَا الدُّجَى الْوُلْهَانُ
مِلْ وَجْهِي الْعُيُونُ ، وَالْآذَانُ
كَمْ شَجَا الْقَابَ دَمْعُكَ الْهَتَّانُ

وَسَمِعْتُ النَّشِيدَ ، قَلَوَ النَّشِيدِ
حِينَ غَرَّدَتْ لِلرَّضِيعِ الْوَحِيدِ

بِأُحُونٍ ، مِنْهَا جَرَى التَّحْنَانُ
شَطَرَ رُوحِي ، وَانْصَبَّ فِيهَا انْصَابَا

لم تَحْيَبْ لِلَّيْلِ سَلْمِي رَجَاءَ
فَمَضَتْ تَرْسِلُ الْفُؤَادَ غِنَاءَ
فَتَنَ الْأَرْضَ ، والدُّجَى ، والسَّمَاءَ

وَقُلُوبُ الْوَرَى ، غَدَتْ آذَانَا
مُنْصِتَاتٍ ، تَلَقَّفُ الْأَخَانَا

فَتَعِيدُ الْأَضَالعُ الْأَصْدَاءَ
مُنْغِمَاتٍ صَدَرَ الدُّنَى إِطْرَابَا

قال رُوحُ الدُّجَى مُنَاهُ ، فَقَالَا :
يَمِّمِي الْمُنْحَنَى ، تَرِي أَدْعَالَا
خَلْفَهَا وَرَدَّةٌ تَشْكِي الْمَلَالَا

فَسَالِيهَا ، تُجَبِّكِ أَيْنَ يُقِيمُ
حَاصِدُ الرُّوحِ ، فَالْأَسَى لَا يَرِيمُ

وَبَقَايَا الْأَمَالِ تَطْوِي الظَّلَالَا
عَنْكَ ، إِنْ أُنْغَمَدَ الرَّدَى الْأَنْبَابَا

رَكِبَتْ أُمُّهُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ
وَعَلَيْهَا مِنَ الرَّجَاءِ غَمَامَةٌ
وَلِزُهْرِ الْأَحْلَامِ قَامَتْ قِيَامُهُ
حَوْلَ أَجْفَانِهَا ، تَرَاقَصُ فَجْرًا
وَهِيَ تُلْقِي غُرَّ الْأَمَانِيِّ شِعْرًا
سَلَّمَ الْأُمُّ ، مُسْتَهَامًا زِمَامَةً
وَقَوَافِيهِ ، زَانَتِ الْآدَابَا

بَلَّغَتْ مَلَكَةَ الشَّدَا فِي الصَّبَاحِ
حِينَ كَانَ الْحَادِي صَفِيرَ الرِّيحِ
وَأُلْمَنِي ، كَالضَّمَادِ فَوْقَ الْجِرَاحِ

فَرَأَتْهَا مَنَعُورَةً بِالثَّلُوجِ
وَعَلَى طَرْفِهَا طُيُوفُ الْمُرُوجِ

رَاقِصَاتٌ فِي حُلُمِهَا الصَّدَاحِ
لِرَبِيعٍ ، يُضْبِي الرِّبَا وَالشُّعَابَا

سألتهَا سلمى بصوتٍ رقيقٍ
ومُحِيًّا ، في يَمٍّ شَكٍّ غريقٍ
وفَمٍّ ، غَصٍّ لَوْعَةٍ بالرَّيقِ :

إِيهِ يَا وَرْدَتِي الأَيَّةَ قُرْلِي
أَيْنَ سَاقِي المَنُونِ ، حَادِي الأُقُولِ
أَيْنَ يَتَوَي تُرَى ، وَأَيَّ طَرِيقِ
أَسْلُكُ الآنَ ، كَدْتُ أَقْضِي انتِحَابَا

فأجابت أميرة الزهر : إني
صك ، يا أم : لاذع البرد سني
لن أدلّ الرءوم ، إن لم تدعني
أورد الشوك قلبها ، ليدوبا
عن ضلوعي ثلج ، يمت القلوبا
فتعود الحياة ، من بعد ظن
عن عروقي ، وأستعيد الشبابا

حَضَنَتْهَا الْأُمُّ الْحَنُونُ بِلَهْفَةٍ
وَانْدَفَاعٍ ، قَدْ أوردَ النَّدَجَ حَتْفَهُ
وَمَضَى الشَّوْكَ ، رَشْفَةً ، بَعْدَ رَشْفَةٍ

يَرْتَوِي مِنْ دِمَاءٍ خَافِقٍ سَلَمَى
فَأَعَادَ الْحَيَاةَ أَنْضَرَ جِسْمَا

وَعَدَتْ بِالْبِرِّ أَعْمَ الْخَضِرِ طُرْقَةً
وَرَدَةً ، تَرْتَدِي الْفُتُونَ ثِيَابَا

ثُمَّ رَاحَتْ مِنْ كِمِّهَا تَتَرَاءَى
زَهْرَةٌ بِالْجَمَالِ تَاهَتْ بِهَاءِ
وَشَدَاهَا قَدْ ضَمَخَ الْأَرْجَاءِ

وَزَهَا فَوْقَ خَدِّهَا الْأَرْجَوَانِي
لَوْزُ ذَاكَ الدَّمِ الزَّكِيِّ الْقَانِي

وَالضَّحَى امْتَصَّ ثَغْرُهُ الْأَنْدَاءِ
فَانْتَشَى غِبْطَةً بِمَا قَدْ أَصَابَا

بُلِّغَتْ مِنْ دَمَاءِ سَلَمَى مُنَاهَا
 وَرَدَةُ الْمُتَحَنَّى ، فَرَدَّتْ صِبَاهَا
 وَازْدَهَاها مِنْ حُسْنِهَا ، مَا ازْدَهَاها
 وَرَنْتْ لِحِظَةً لِفَخْرِ الْأُمُومَةِ
 ثُمَّ قَالَتْ بِرَقَّةٌ ، وَنُعُومَةٌ :
 سَائِلِي الْبَحَرَ ، أَيْنَ عِزْرِيلُ تَاهَا
 تَجْدِي الْمَوْجَ لِلرَّءُومِ أَجَابَا

فَمَضَتْ كَالسَّحَابِ نَحْوَ الْخِضَمِّ
تَتَخَطَّى شَمَّ الْهَضَابِ بِعَزْمٍ
لَيْسَ يَتْنِيهِ نَابُ صَخْرٍ أَصَمِّ

رَاحَ يُدْمِي بِجِدِّهِ الْقَدَمَيْنِ
دُونَ شَكْوَى مِنْ وَخْزَةٍ، أَوْ أَيْنِ

أَوْ كُلُومٍ ، تَسِيلُ مِنْ غَيْرِ كَمٍّ
لِتَرْوِي جَنَادِلًا ، وَثُرَابًا

أُسْرَعَتْ فِي مَسِيرِهَا الْمِلْحَاحِ
بِجِرَاحٍ ، تَسِيلُ تِلْوَ جِرَاحِ
وَفُؤَادٍ مُرَوِّعٍ ، غَيْرِ صَاحِ

ثُمَّ أَلْفَتْ فِي دَرْبِهَا أَقْحَوَانَهُ
سَلَبَتْهَا أَوْرَاقَهَا الْفَتَّانَهُ

عَاصِفٌ ، مُسْتَهَامَةٌ بِأَضَاحِي
مِنْ أَزَاهِيرٍ ، أَرْهَقَتْهَا انْتِهَابَا

هَزَّتِ الْأُمُّ نَفْحَهُ الْأَشْفَاقِ
فَرَّتْ زَهْرَةَ الرَّبِّي بِالْمَآقِي
وَجَنَانٍ ، أَسَاهُ فِي الْأَعْمَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ : أَيَا عُرُوسَ الْجِبَالِ
نَحْنُ صِنَوَانٍ فِي الْأَسَى الْقَتَالِ

قَدْ شَرِبْنَا الْجُلَى بِكَأْسِ دِهَاقِ
وَاحْتَكَرْنَا الْهُمُومَ وَالْأَوْصَابَا

أنا ، يا أختُ ! قد ضَلَلْتُ سبيلي
بين هذي الحُضابِ دُونَ دَليْلِ
أرشديني إلى الحِصَمِّ تُزِيلِي

قَلَقًا ، لم يُبَقِّ في أعصابي
غَيْرَ وَمَضٍ مِنَ العَزِيمَةِ خَابِ

وَحَفُوقٍ وَاهِ ، وَجَسَمٍ هَزِيلِ
غَالَهُ اليَأْسُ ، فَأَنْحَنِي أَحْدِيدَابَا

فَأَجَابَتْ حُلْمُ الْمَنَى الْإِقْوَانَةَ
وَنَدَى الْفَجْرِ مَوْعِ الْحَانَةِ
صِرْتُ يَا أُمُّ لِلْأَسَى عُقْوَانَةَ

فَامْنَحِينِي أَسْنَانَ تَغْرِ نَضِيدِ
أُجْنِ عَيْشًا بِهِنَّ جَدَّ وَغَيْدِ

وَأَرَانِي فَوْقَ الرَّبِّي سُلْطَانَةَ
ثُمَّ أَهْدِيكَ لِلْخِصَمِّ الدَّرَابَا

طَارَتْ الْأُمُّ تَنْتَحِي الدَّأْمَاءَ

بِفَوَادٍ ، أَصَارَهَا دَرْدَاءَ

يَحْمِلُ الْحُبَّ خَالِصًا ، وَالرَّجَاءَ

وَأُمَانِي ، تُذْهِبُ الْآلَمَا

وَحَنَانًا ، يُجَيِّرُ الْأَفْهَامَا

وَرِضًى ، يُنْبِتُ الْمُنَى وَالْهِنَاءَ

وَهَيَامًا ، يَزِيدُهَا إِخْصَابَا

فَرَأَتْ ، وَهِيَ تَنْهَبُ الْأَرْضَ سُحْبًا
غَطَّتِ الْإِفْقَ ، شَرْقَهُ وَالْغَرْبَا
قَدْ حَدَّثَهَا رِيحٌ تَوَلَّوْلُ غَضْبَى

أَرْجَعَتْ لِلْقُطُوبِ أُمَّ عِصَامِ
وَعَزَّتْ نَفْسَهَا بِجَيْشٍ لُحَامِ

مِنْ أَسَى ، دَكَّهَا شَقَاءٌ وَكَرْبَا
فَحَكَتْ أَوْجَهَ الْغُيُومِ اكْتِثَابَا

شاهدت عند شاطئ البحر صخرة
مثل أجماد عزمها مُشْمَخَرَّة
رقيتها بطفرة ، بعد طفره

وأطلت على الخضم الأجاج
مُزِيد الشَّدَق ، نائر الأمواج

ثم أَلَقْتُ على الأواذي نَظْرَه
وأراقت دموعها تَسْكابا

أَبْصَرَ الْبَحْرُ دَمْعَهَا الْمَذْرَارَا
أَرَى حَيًّا كَمَوْجِهِ ، مَوَّارَا
يَسْرُدُ الْبُؤْسَ ، وَالْأَسَى الْغَدَّارَا

فَرَنِي قَلْبُهُ لَسْلَمِي ، وَأَضْحَى
سَاكِنًا ، وَانْبَرَى يُضَمِّدُ جُرْحَا

فِي جَنَانِ الْحَنُونِ ثَارَ ، وَجَارَا
لَا بَسًا أَحْمَرَ الضَّنَى جِلْبَابَا

قَالَ : يَا أُمُّ ! هَدَّيْتُ الرُّوعَ إِنِّي
هَاتِي أَنْ أَرَاكِ بُرْكَانَ مُحْزَنٍ
يَقْذِفُ الدَّمْعَ لَاهِبًا فَوْقَ جَفْنِي

فَأَمِيطِي عَن نَفْسِكَ الْأَرْزَاءَ
ثُمَّ بُوْحِي بِمَا دَهَاكَ وَسَاءَ

عَلَّيْ أَغْسِلُ الْأَسَى وَالتَّجَنِّي
مَنْ زَمَانٍ ، أَهْلِي الْأَنَامَ ضَرَابَا

فَأَجَابَتْهُ ، وَهِيَ تَنْشِجُ : قُلْ لِي
أَيْنَ سَاقِي الرَّدَى يُقِيمُ ، لَعَلِّي
أَفْتَدِي فَلَذَّةَ ابْنِ صَدْرِي وَأُجْلِي

عَنْهُ دَاءٌ ، أَعْيَا الْأَطِبَّاءَ طُرًّا
فَذَوَى عُودَهُ الصَّرِيَّ ، وَقَرًّا

فِي سَرِيرِ الْآلَامِ ، وَالْدَّمْعُ يُمِلِي
قِصَّةَ الدَّاءِ يَقْصِمُ الْأَصْلَابَا

قال : سلمى ! يادُرَّةَ الأَكوانِ
أنتِ شمسٌ ، تُنيرُ قلبَ الزَّمانِ
أَسَرَّتْني في مُقلَّتَيْكَ مَعانِ

ما حَوَى مِنْهَا كِتابُ الأمومَةِ
مَنْذُ خَلَّى لَنَا الزَّمانُ رُسومَهُ

فَهَبْنِي عَيْنَيْكَ ، يَجْنِ الأمانِ
خافِقِي ، قَبْلَ أنْ تَنالِي الجوابا

قال هذا لها الحِضَمُ ، وَأَغْضَى
تَجَلَّأَ عَيْنَهُ ، وَقَدْ خَافَ رَفْضًا
فَأَجَابَتْهُ مُقَاتِلَانِ ارْفُضَا

منهما الدَّمْعُ كَالْحَمِيمِ عُيُونَا
فَجَرَّ الْبَحْرَ لَوْنَةً ، وَشَجُونَا
وَرَأَى الْكَوْنُ ، بَعْدَ ذَلِكَ وَمُضَا
فِي مُحْيَا سَلَمَى ، أَنْارَ الْعُبَابَا

وَهُوتُ مِنْ بِنْتِ الْأَسَى الْعَيْنَانِ
كَشَّهَا بَيْنَ مِنْ سَمَاءِ الْخَنَانِ
وَرَأَى بَعْدَ ذَلِكَ الثَّقَلَانِ

وَعُيُونُ التَّارِيخِ ، أَيَّ فُؤَادِ
حَمَاتِهِ سَلَمَى ، وَأَيَّ جِهَادِ

جَاهِدَتْهُ فِي سَاحِ حَرْبِ عَوَانِ
شَنَّهَا الدَّهْرُ فَاتِكَا ، وَثَابَا

يَا لَأُمٍّ قَدْ أَصْبَحَتْ عَمِيَاءَ
لَا تَرَى فِي سَوَى الْخِضَمِّ عِزَاءَ
حَمَلَتَهَا أُمُوجُهُ أَشْلَاءَ

وَرَمَتْهَا أُمَامَ كُوخٍ عَتِيقِ
مُوحِشٍ ، قَائِمٍ يَبَابِ مَضِيقِ

حَرَسَتْ رَبَّهُ ، صَبَاحَ مَسَاءِ
بِنْتُ سَبْعِينَ ، شَعْرُهَا قَدْ شَابَا

سألته العجوزُ : ماذا دهاكِ
أيها الأمُّ ! من أذى دُنْيَاكِ
أنتِ رَوَّعتِ قُبَّةَ الأَفلاكِ

بالأَسَى ، جائئاً على الأَضلاعِ
والرَّزايا ، يَنْفُثُنْ سُمَّ الأَفَاعِي

دُونَ شَكْوَى ، تُلقِي بها شِفْتَاكِ
كلِّما أوردَ الزَّمانُ الحِرابا

فَرَوَتْ لِلْعُجُوزِ مَا قَدْ عَرَاهَا
فَبَرَى عُوْدَهَا ، وَهَدَّ قُوَاهَا
ثُمَّ قَالَتْ بِلَهْفَةٍ شَفَتَاهَا :

أَيْنَ يَنْوِي سَاقِي الْمَنُونِ ، أَجِيبِي
حَسْبُ دَهْرِي مَا آدَهُ مِنْ نَحْيِي

ثُمَّ خَانَتْ بِنْتَ الصَّيِّ قَدَمَاهَا
فَهَوَتْ ، لَهْفَتَاهُ ! تَشْكُو الْقُلُوبَا

ذِعَرَتْ مِنْ إَغْمَائِهَا الشَّطَا
فَبَكَتْ حَسْرَةً ، وَعَزَّ الْعَزَاءُ
ثُمَّ حَاكَتْ تِلْكَ الْعَجُوزَ السَّهَاءُ

بِنَشِيجٍ مُضْنٍ ، وَدَمَعٍ غَزِيرٍ
وَحَفُوقٍ ، كَوَاهُ كَفْحُ السَّعِيرِ

فَأَمَحَى الشَّجْوُ ، وَانْجَلَى الْإِغْمَاءُ
بَعْدَ مَا أُسْدِلَ الْخَنَانُ نِقَابًا

أنهضتها العجوزُ ، ثم أجابتُ
بدهاءٍ ، مهُ الجلامدُ ذابتُ ،
هامتي من أذاةٍ دهري شابتُ

فأريني سحاءك الحاتميا
وهي الرأسَ شعرك الذهبيا

لأرى الحسنَ ، واللفاتن آبتُ
بعدما أورت الحنين التهابا

أَذْ عَنَّتْ لِلْعَجُوزِ أُمُّ الطَّبِيبِ
فَكَسَاهَا الْجَلالُ تاجَ الْمَشِيبِ
وَمَضَتْ شَمْسُهَا، بِسِحْرِ الْمَغِيبِ

تَفْتِنُ الْكَوْنَ ، وَالْخَلَائِقَ طَرًّا
فَعَدَّتْ لِلْبَهَاءِ ، وَالنُّبْلِ أُسْرَى

كَحَبِيبٍ ، مُتَّيِّمٍ بِحَبِيبِ
رَاحَ يُعْصِيهِ قَلْبُهُ الْوَجَابِ

عِلِمْتُ عِنْدَ ذَاكَ أُخْتُ الْأَضَاحِي
أَنَّ فِي الْكُوخِ قَانَصَ الْأَرْوَاحِ
فَأَتَيْتُهُ ، وَجَوْقَةُ الْأَفْرَاحِ

تَوَقَّعُ الْبِشْرَ ، وَالْمَنَى الْحَانَا
فَجَرَّتْ فِي سَاقِي الْحِمَامِ الْحَنَانَا

فَدَنَا ، وَهُوَ بِاسْمٍ كَالصَّبَاحِ
رَشَفَ الْطَّلَّ ، فَاسْتَطَابَ الرِّضَابَا

قال : أهلاً برَبَّةِ التَّضَحِيَّاتِ
وَشَذَا النُّبْلِ فِي رِيَاضِ الْحَيَاةِ
وَعَرَامِ الْأَعْجَادِ ، وَالْمَكْرُمَاتِ
مَا عَسَى تَبْتَغِينَ ؟

قالت : أَغْنِيَنِي
أَوْشَكَ الدَّاءُ أَنْ يُطَوِّحَ بِابْنِي
فَأَزِحْ عَن جَمَانِي النَّكَبَاتِ
حَسْبُهُ مَا جَرَى لَهُ وَانْتَابَا

قَالَ عِزْرِيلُ : مَا تَرَكْتَ سَبِيلًا
 يُنْقِذُ الْآسِيَّ الْحَبِيبَ الْعَمِيلَا
 قَطُّ ، إِلَّا مَهْدَتَهُ تَذِيلَا
 وَرَكَبْتَ الْخُطُوبَ ، وَالْآلَامَا
 وَشَرَبْتَ الْآهَاتِ ، وَالْأَسْقَامَا
 وَاقْتَحَمْتَ الْجَلَى ، فَلَا مُسْتَحِيلَا
 عَادَ يَقْوَى ، فَيَسْتَشِيرُ الصَّعَابَا

أَبْشِرِي ! أَبْشِرِي ! سَيُشْفَى عَصَامُ
أَفْحَقًّا تَقُولُ؟ !
وَلَّى السَّقَامُ

عن حمَاهُ ، وَقَرَّ فِيهِ السَّلَامُ
فَاسْتَخَفَّ الْأُمَّ الْحُنُونُ الْجَبُورُ
فَشَدَّتْ غِبْطَةً ، وَرَاحَتْ تَدُورُ
حَوْلَ حَادِي الْأَرْوَاحِ ، وَالْأَحْلَامِ
رَاوِدُتَهَا ، وَشَدَّتِ الْأَطْنَابُ

غمرَ الأمُّ بالُمْنَى عِزْرِيْلُ
فَاسْتَبَى قَلْبَهُ الصَّنِيعُ الْجَمِيلُ
وَاحْتَوَاهُ ظِلُّ الْهَنَاءِ الظَّلِيلِ

فِي ذِرَاعِيهِ ، فَاسْتُطِيرَ ابْتِهَاجَا
وَبَدَا نُورُ عَطْفِهِ وَهَاجَا

وَتَصَبَّى الْخَنَازُ ، وَهُوَ يَسِيلُ
مِنْ قَمَرِ الْأُمِّ ، قَلْبُهُ الْمَجْدَابَا

ضَمَدَ الْجُرْحَ فِي فؤَادِ الْأُمِّ
وَنَضَاعَنهُ كُلَّ هَمٍّ ، وَغَمٍّ
فَعَدَا ، مِنْ هَنَائِهِ ، فِي يَمٍّ
ثُمَّ أَفْضَى سَاقِي الرَّدَى بُرَادَهُ
رَاجِفًا كَالْعُقَابِ ، غِبَّ ابْتِرَادِهِ
وَحُيَّاهُ ، فِي الْحَيَاءِ الْجَمِّ
غَارِقٌ ، وَاللَّسَانُ يَخْشَى الْخَطَابَا

قال : لا بُدَّ أَنْ تَجُودِي ... وَأُحِبَّكُمْ
 عَنْ يَمَانِ الْمَرَادِ جَهْرًا ، وَتَمَتَّكُمْ :
 إِفْتَدِيهِ بِالرُّوحِ ...
 ثُمَّ تَلَعَّتُمْ

فَأَجَابَتْهُ : ذَاكَ غَايَةُ سُؤْلِي
 فَحِذِ الرُّوحَ ، وَامْنَحِ الْبُرْءَ نَجْوِي
 وَأَتِيحْ لِي وَدَاعَهُ الْيَوْمَ بِالضَّمِّ
 قَبْلَهَا أَنْزِلِ الضَّرِيحَ قِرَابَا

حَمَلَ الْأُمُّ بِالْيَدَيْنِ ، وَطَارَا
وَأَتَى مِنْ وَحِيدٍ سَلَمَى الْمَزَارَا
فَانْتَحَاهَا عِصَامُهَا مُسْتَطَارَا

وَرَمَى نَفْسَهُ عَلَيْهَا ، فَضَمَّتْ
فَلَذَّةَ الْكَبْدِ ، ثُمَّ بَاسَتْ ، وَشَمَّتْ

وَأَشَعَتْ بِشَاشَةٍ لَا تُبَارَى
وَهَوَى نَجْمُهَا الْحَبِيبُ ، وَغَابَا

معجم الملحمة

رتبت الكلمات التي قد يصعب فهم معانيها على بعض القراء
حسب ترتيب ورودها في الملحمة .

- استهل الطفل : رفع صوته بالبكاء عند ولادته .
- حبابُ الماء : نفاخاته التي تعالوه .
- لاب : حام حول الماء دون أن يصل إليه .
- الكتاب : القرآن الكريم .
- العَرِنين : الأنف .
- الجلنار : زهر الرمان .
- سويداء القلب : حبيته .
- معبد : هو المغني العباسي المشهور .
- المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .
- العميد : الذي هداه العشق .
- تداعى : أقبل .
- الخوَد : المرأة الشابة .
- سكان السفينة : دفتها .
- الشغاف : غشاء القلب .
- الحجى اللّماح : العقل النير .
- الراح : الخمر .
- الرجاف : القلب

الدراري : الكواكب .
 أصماه : رماه فقتله مكانه وهو يراه .
 المزهر : العود (آلة الطرب) .
 وصاب : مفردها وصب ، وهو المريض .
 الندبة : السريعة الى الفضائل .
 وجيب القلب : خفوقه .
 الأوام : الظمأ .
 الصنج : آلة طرب نحاسية .
 الاضاحي : الضحايا .
 الجلي : الخطب العظيم .
 كأس دهاق : طافحة .
 خبت النار : طفئت .
 الدأماء : البحر .
 الدرداء : التي فقدت أسنانها .
 اللّهام : الجيش العظيم .
 أجاج : شديد الملوحة .
 الموار : المتموج المضطرب .
 الرُوع : القلب .
 الأصلاب : مفردها صالب ، وهو السلسلة الفسقارية .
 الحميم : الماء الحار .
 الثقلان : الإنس والجن .
 الحرب العوان : هي التي قُوتل فيها مرة بعد

أخرى ، وهي أشد الحروب .
آده : أجهده .

القلاب : داء القلب .
طوّح به : حملّه على ركوب المهالك .



تصويبات مطبعية

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٠	فتة	فتنة
١٣	سَنِينَا	السَّيْنَا
٢٨	فلما	فهيما
٢٩	الفنُّوس	النَّفُوس
٣١	السّمهري	السّمهري
٤١	أريج ، ارتجال ، سماح	أريج ، وأريج ، وارتجال ، وسماح
٤٦	رقصا	رقصها
٤٧	فيبي	فيلي
٥٠	التي	العتي
٦٣	العريزة	الغريزة
٧٥	يتعني ، جب	يتغني ، جنب
٧٩	صبيب	صبيب
٩٠	عنده	عنده
٩٦	الجُوج	الجُوج
١٠٨	بدعت	بأغت
١٠٩	القدمين	القدمين
١٢١	الصري	الطري

[illegible]

العدنانى، محمد

العدنانيات

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039676

العدنانى

الامعة : ح ٣ من العدنانيات



892.71
A2372A
V.3

7